

عليه الآن تحقق انها تطورت باطوار شتى في اوقات متلاحمة حتى وصلت درجة تحتاج للتأريخ والتدوين فقد تغيرت هياؤها المدنية وانتقل اهلها الى ما دعا اليه التشبه والمجاراة من انواع المحسنات العمرانية والمقتنيات البيتية . وهذا مقام يقضي على القلم بتفصيل المطالب وتمييز المواضع فلذا نرتب هذا الباب مطالب تعرف بعناوينها كما ترى

❖ مطلب الطعام ❖

كان المصريون قبل العشرين سنة الاخيرة منقسمين ثلاثة اقسام فقراء واغنياء وامراء . فطعام الفقراء قليل الانواع والآنية ولا يخرج في الريف والمدن عن صنف واحد يطبخ كل ليلة من عدس او كشك او بيسارة او فول او دشبشة او شعربة او محمصه او كسكسو او نوع من الخضر وإدام النهار مش أو جبن او كراث او فجل او مخلل والريفي يتظر وفوق اهمية فبا كل من لحمها ولا يصنع الا مسلوفاً (صليقة) او محمراً او مدفوقاً مع ذرة ليصنع كباباً او كفتة ولا يأكل اللحم الطيب المسمى عنده (بالغصيب) الا في الاعياد والمواسم . والمدني ان اراد اكل اللحم اشترى كرشه الحيوان او ارجله او اخذ رطلاً او رطلين من لحم الجاموس الرخيص السعر ولا يعرف من المطاهي الا جعله مسلوفاً او محمراً او مقطعاً في ماء وسمن يسمى دمة او مطبوخاً ببصل يسمى عنده قاورمة وعند الريفي يخني وبعض البلاد لا يأكل الا الارز والبعض جل طعامه التمر . والغني الريفي كان يساوي الفقير في طعامه ويزيد عنه ذبح فرخة

او حمامة او ارنب اذا جاءه ضيف كما يزيد طاجن ارز خالياً او مدفوناً فيه فرخة او حمامة او لحم وارزاً بلبن مفرداً او محلى بعسل اسود من عسل القصب او لحمه يبصل كثير يسمونه قلاية . وآنيته كآنية الفقير طواجن وصحاف تصنعها النساء من مدقوق الطوب الاحمر (الاجر) وشوال اللبن (جمع شالية مقلوب شائلة) كما يساويه في أكل اللبن المخيض وتقدمه للضيفان في الصباح والظهرة . والغني المدني كان يأكل اللحم والخضر مقتصرًا على الصليقة والمحمر والكباب والكفتة والدمعة وانواع الخضر وكان يطبخ الصنفين او الثلاثة لا يزيد على ذلك واوانيه الزبادي الخضر والصحف البرامية المدهونة وعظيم الثروة يتخذ بعض آنية من الصيني يحفظها في الصناديق ولا يخرجها الا في الولائم والافراح فان اراد عمل حلواء صنع الارز باللبن مع السكر او صنع المهلبية او الفطير او البسيسة ولا يصنع الحلواء الا في ليالي الضيفان والولائم الكبيرة . والامراء كان خوانهم يشتمل على خمسة اصناف او ستة في الاكثر مركبة من شوربة وصحن لحم وصحنين من الخضر او صحن حلوى وصحن ارز واغلبهم يقتصر على الشوربة واللحم وصحن الخضر والارز يتداولون في هذه الصحنون المحمر والكباب والكفتة وكباب الفرن والقاورمة والقبه مه وانواع الخضر والصوبريك والرواني والمهلبية والحريرة والفطير والسنبوسك والاماسية وبعض الفواكه وآنيتهم الصيني ولا يزيد الطقم عن اثني عشر صحنًا واغلبهم كان يستعمل آنية النحاس الصفراء او الاحمر المبيض المصنوع في توقات او الاستانة او مصر . وملاعق الفقراء والاغنياء

الخشب غير ان ملاعق الاغنياء من خشب البقس وملاعق الامراء من خشب الابنوس ويندر عمل الملاعق الفضية عند كبار الامراء وبهذا الاقتصاد العظيم كانت الثروة عظيمة كل بحسب حاله مع قلة النقود اذ ذاك وعدم اتساع التجارة والزراعة فان آنية الفلاح اذا كسرت صنعت المرأة غيرها في الحال وآنية الغني يشتريها بالنص والميدي لا بالفرنك والريال والجنيه وآنية الامير يشتريها بالقروش ولكن لفلتها لا تكلفه فوق طاقته . وعدم التوسع في المطامي كان حجاباً عظيماً بين الذهب والذهب والفضة والانقراض . حتى ان القدماء لما لم يجدوا باباً ينفقون فيه ذهبهم التزموا دفنه في الارض ليكون سداً من عوز اذا دعت اليه الضرورات وهو الذي نسميه الآن خبيثة وكنزاً وما هو الا فضل الاقتصاد وما زاد عن ضروريات المعيشة . فلما حصل الاخلال وامتدت التجارة واتسع نطاق الزراعة وساكن الاجنبي الوطني وتبادل الفريقان الزيارة فجع الغربي اقتصاد الشرقي وعده بقاء على العجمية والتوحش وحسن له للتوسع في المآكل والمشارب وآتيتها لبائث الامم المتقدمة في العالم وما قصد بذلك الا تحويل ما بيده من النقود الى بلاده واتخاذ اجيراً يشتغل ويكد الليل والنهار حتى اذا طاب زرعه وامتلاءت يده بالنقود جاءه الاجنبي بحسناته فاخذ ما بيده وتركه في اسواء مما كان فيه . ففهم الوطني الفقير والغني والامير على المحسنات الغربية يشتريها بنفس الذهب وتعلم التفنن في المطاعم والمشارب حتى صارت آنيته مركبة من مئات من الصنوف المختلفة الاشكال والكاسات المتنوعة اذ صنع له اواني للشورية واواني للحم

واواني للسّمك واواني للخضر واواني للسلطة واواني للسردين واواني
للبيض واواني للخلل (التورشي) واواني للحلواء واواني للفاكهة واواني
للفاكهة اليابسة (اليميش) واواني للجبن وكاسات للماء القراح (وقليل شارب
على الطعام) وكاسات للنبيد وكاسات للاكنياك وكاسات للبيرة وكاسات
للابسنت وكاسات للشامبانيا وكاسات للنساء غير كاسات الرجال يتبع
ذلك ملاعق الارز وملاعق الحلواء وملاعق القهوة وملاعق السلطة وملاعق
الدولدرمه وملاعق الشوربه وسكاكين كل صنف وشوكه وآلات كسر
الفاكهة وعصر الليمون يستخدمون ذلك في طعام الكستلية والبوفتيك
والروسيف والدندي والكباب والمحمر والكلاوي والخبز ولحم الصاصه ولحم
البطاطس ولحم البسلة ولحم الخل ولحم الحمص ولحم التومية والقاورمه
والشاورمه والقبه مه ولحم الفرن والباصرمه والسجق والكل باستي والضلح
والمحشي والشركسيه والتورلي والمسقمه والصلابق والفطير وانواع الحلواء
الشهيره (بالطاتي) وانواع الخضر وما يتبع ذلك من السلطات والمخللات
والمرليات والفواكه والهواضم المصنوعة . وهذه الاواني تصنع قابله للكسر
بادنى سبب وهذه المطاهي تستدعي طاهياً ماهراً وخداما يقومون بهذه
الاعمال وتستدعي القوط والترايزات والكراسي والدواليب وغيرها مما
يلزم للسفرة وتستدعي كثيراً من الحلال (القدور) اللازمة للمطاهي العديدة
فاذا كان عنده ولجته استدعت مئات من الاواني اذ كل فرد ياكل وحده
على القاعدة الافرنجية ولزمه تكثير اللحوم والخضر وبقية الاصناف لان
كل انسان ياكل في اثناء مخصوص فيلزمه ان يأخذ ما يكفيه . هذا

بالنسبة الى الامراء والاعنياء اما الفقراء فقد تركوا الطاجن والصفحة واستعملوا
الاطباق الصينية والاواني الرقيقة التي لا يمكنهم التحفظ عليها لعدم معرفتهم
بترتيب البيوت فيلقون الاواني في وسط البيت وفي جانب الحائط فتدوسها
البهائم وتكسرها فيشترون غيرها وقد توسعوا في المآكل الى حد لا يطيقون
التباعد عليه لعدم كفاية الواردات المالية لهذا الاسراف العظيم

وقد امانوا بهذا الاسراف الاقتصاد الشرقي فانت معه ثروة القوطية
والفاخورية وتجار البرام والزابادي والخراطون وصناع الملاعق والمغارف
وتجار النحاس وحيي مقابلهم في الغرب . ولما لم تكفهم وارداتهم لا يستحضار
الآلات والمطاعم والمشارب الجديدة اقترضوا ورهنوا الاملاك والاطيان
وكانت الغاية سكنى الغريب فيما بنوه وانتفاهه بما ملكوه ولو رايت
اسرافهم في الفرش والملابس لرايت العجب فانتظر الاسبوع القادم تنظر
عجائب الزمان وتميز بين الاقتصاد الشرقي والاسراف الغربي . نعم ان
المحسنات المعاشية تالفها النفوس ولكن الاسراف فيها والتهالك عليها غير
محمود الا ترى ان الرجل كان يزرع العشرة فدادين او الخمسة عشر
فيعيش بمحصولها طول السنة مع اكرامه الضيفان كل ليلة ويدخر
كثيراً من النقود ويزيد فدادينه بمشترى غيرها والان يزرع المائة فدان
ولا تراه الا مقترضاً لا يجد من القوت الا الضروري وما ذاك الا بتركه
الاقتصاد الشرقي . وترى المستخدم الاول كان ياخذ الالف فرش كل شهر
وتجد عنده اغنا للحریم وخدماً وحشماً ويشترى املاكاً والان ياخذ الحاضر
الاربعين والخمسين جنياً ولا ترى في صندوقه شيئاً ولا يجد عقاراً ينفعه

وربما وجدته مديناً وقد لا تكون له عائلة اكثر من زوجة وخادمة وخادم وما جره للمحرمان من كسبه الا السرف الغربي فلو اخذنا من محسنات الغرب ما لا بد منه واقتصرنا على ما يوافق اخلاقنا وعاداتنا لحفظنا لانفسنا حق الانتفاع بثمرة الاقتصاد الشرقي ولكن طرنا حول الاهواء وجريتنا خلف المربيات المزخرفة الظاهر وتبعنا سير الغربي فجاربناه حتى سبقناه واصبحتا نعض الانامل من الغيظ ونضرب الكف بالكف اسفاً وندماً وهيئات هيئات ان نفع الندم مع التماذي على هذا التهاك في السرف اللهم الا ان تداركنا بقية صارت على شفى جرف الضياع وما ذلك على الله بعزيز

باب التهذيب

يعلم الناس ان النفوس تشاق للامر الواقع اكثر من اشتياقها الى التخيل وقد كنت اتناظر في اختفائي مع صديق غربي فان غاب عني يوماً اخذت اتكلم مع خادمي وكان غلاماً امياً فارغاً من الآداب لا يعرف الا ما اخذه عن والدته وما تلقاه عن امثاله فعلمته الكتابة وهذبه ولقنته ما يلزم لمثله وقبل وصوله لهذه الدرجة جرت بيني وبينه محاورات في مواد كثيرة وذلك اني كتبت كلمات من باب المثل السائر او الحكم واخذت اقرؤها عليه وافهمه معناها فكان يصدر منه ما يحرك الحليم للغضب واصبر رجاء وصوله الى التهذيب . وهذه الطريقة التي التزمها في تهذيبه اسهل تناولاً من كتاب مؤلف في هذا الباب ولهذا عزمت على نشر تلك المحاورات لاشتمالها على فنون ادبية شتى في طي